الانزياح

لغة

واصطلاحا

أمور كثيرة يستند إليها الشاعر عند تكوين التجربة وتشييد بنائها ، فمنذ شرارة الانفعال والتأثر يحرج الشاعر أدواته من مفردات وأساليب وأخيلة وموسيقا يؤسس بها أبيات القصيدة متوخيا التأني والتأنق في اختيار لفظ دون الآخر ، وهو في ذلك كله يتخذ مطية الانزياح أساسا يعتمد عليه ، ويشكل به جوانب تجربته من منطلق أنه (الانزياح) متعلق بجماليات النص الشعري.

الانزياح لغة مأخوذ من مادة (زاح) زوحا وزواحا أي زال وتنحى وتباعد ، وزاح الشيء زوحا : أبعده ، وأزاحه : نحاه ، وانزاح : زال وتباعد (١).

والانزياح مصطلح غربي وافد إلينا من الدراسات الأسلوبية الغربية المعاصرة، وهو يعني : الابتعاد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف. والخروج بأسلوب الخطاب عن السنن اللغوية الشائعة فيحدث في الخطاب تباعدا (انزياحا) يتيح للشاعرالتمكن من محتوى تجربته . وصياغتها بالكيفية التي يراها كما يحقق للمتلقي متعة وفائدة . ويعرف "ميشال ريفاتير" الانزياح بأنه ابتعاد "عن النمط التعبيري المتواضع عليه، وهو خروج عن القواعد اللغوية وعن المعيار الذي هو الكلام الجاري على ألسنة الناس في استعماله وغايته التوصيل والإبلاغ ".

و قد جاء هذا المصطلح في ثنايا الدراسات الأسلوبية واللسانية الغربية التي تسعى جاهدة إلى تحديد الواقع اللغوي من منطلق أنه قضية أساسية في تشكيل جماليات الخطابات الأدبية وبوصفه أيضاً حدثاً لغوياً يظهر في تشكيل الكلام وصياغته،وجدير بالذكر أن هذا الأمر ليس جديدا على أدبنا العربي ، فقد تناوله العلماء العرب من قبل تحت مسميات أخرى كالتقديم والتأخير ، والذكر والحذف والإسناد .

ويشير النقاد إلى أن مصطلحات: الانزياح، العدول، التجاوز، الانحراف الاختلال، الإحاطة، خرق السند، ، كلها تؤدي معنى الانزياح .

ذلك أن لغة الخطاب العادي لا انزياح فيها، في حين أن شعرية الأدب تقوم من جملة ما تقوم على الانزياح أي الخلروج عن مألوف الصياغة .

ولا يأتي الانزياح هكذا عبثا بلا هدف ، وإنما يأتي به المبدع شاعرا أو ناثرا لغاية وهدف نتبينه في :

- ما يخدم النص .

- ما يخدم متلقي النص.

يخدم النص بما يقدم من انزياحات وخرق لقوانين اللغة بالتقديم والتأخير والذكر والحذف وما يقدم من استعارات وتشبيهات وكنايات ومحسنات ويخدم متلقي النص بما يحدث له من « المفاجأة » بالخروج عن النظام والقانون المتبع في تركيب الجمل وغني عن البيان أن مفهوم المفاجأة مرتبط أصلاً بالمتلقي.

ولقد عرف شيوخ العربية ونقادها القدماء أهمية هذا المصطلح ، ولكنهم لم يعرفوه كما عرفنا نحن، وإنما عرفوه بمصطلحات عديدة مجزأة مبعثرة.

فقدعولجت قضية الانزياح من قبل نقدنا القديم وعلماء العربية الأفذاذ بأسلوب يفوق ما تناولته الدراسات الغربية الحديثة فتناولوا الانزياح تحت مسميات مختلفة منها :

العدول والمجاز والمبالغة والإغراق والضرورة وغير ذلك.

وحسبك أن ترى الانزياح ماثلا في مصادرنا العربية القديمة بالرجوع على أمهات الكتب العربية :

- (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني.

- (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني.
- (منهاج البلغاء) لحازم القرطاجني.
- (العمدة) لابن رشيق وغيرها، ومؤلفات أسلوبية معاصرة .

فهذا شيخ النقاد عبد القاهر الجرجاني يقول "معلوم أن ليس النظم سوى عملية تعليق الكلمة بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض " ، ويفرق بين نظم الحروف ونظم الكلمة فيقول:

" ومما يجب إحكامه الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، ليس نظمها عن معنى ، فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد ، وأما نظم الكلمة فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل. ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله" (٢).

ألا ترى أنه يشير إلى ما يطرأ على الكلام واللغة من تغيير عند نظم الشعر ، وما يعتريه من خروج عن الترتيب المنطقي ، وهو ما تسميه الدراسات الأسلوبية واللغوية الحديثة بالانزياح .

إننا حين نتناول ما يعرض أمامنا من أساليب نجد أنفسنا حيال نمطين من مختلفين :

١- أسلوب اللغة الطبيعية العادية التي تراعي الترتيب المنطقي لمفردات الجملة. وهذا النمط الطبيعي غايته إبلاغ رسالة واضحة تحقق تواصلا بواسطة لغة تقريرية مباشرة .

٢- أسلوب غير طبيعي يميل إلى خرق علاقة مألوفة بين الكلمة ودلالتها المعتادة في اللغة الطبيعية، أسلوب يحمل في طياته انزياحا أي خروجا عن المألوف . فقولك :

- الطائر فوق الغصن . لغة طبيعية . ترتيبها منطقي (مبتدأ وخبر).
- أما قولك : فوق الغصن طائر فهذه لغة غير طبيعية . لأن فيها خرقا للمألوف وخروجا عن نظام اللغة المتبع . فقد قدمت الجار والمجرور (فوق الغصن) الخبر على المبتدأ (طائر) .

الانزياح إذن يعني البعد عن مطابقة الكلام للواقع وهو يستعين بأدوات لغوية متعددة منها الاستعارة و التشبيه و الخيال والرمز وغيرها من المحسنات البلاغية .

- ففي قول الشاعر (عيناك غابتا نخيل) انزياح باللغة من المعنى المعهود للعينين في اتجاه معنى آخر غير مألوف .
- وفي ورود الجناس أو السجع أو المطابقة أو المقابلة أو الترادف خروج عن المألوف بقصد تزيين الكلام . أو إحداث مؤثر صوتي يخرج بالكلام والأسلوب عن مساره التقريري اللغوي المباشر .

وأدوات الانزياح اللغوي كثيرة منها :

- التقديم والتأخير.
- الذكر والحذف .
- **المجاز :**
  - التشبيه.
  - الاستعارة.
  - الكناية .
- **المحسنات البديعية :**
  - السجع
  - الجناس
  - الطباق
  - المقابلة
  - التورية
  - الترادف
  - التكرار.
  - الازدواج .
  - التوشيع .
  - العدول.
  - الالتفات .
  - رد الأعجاز على الصدور.